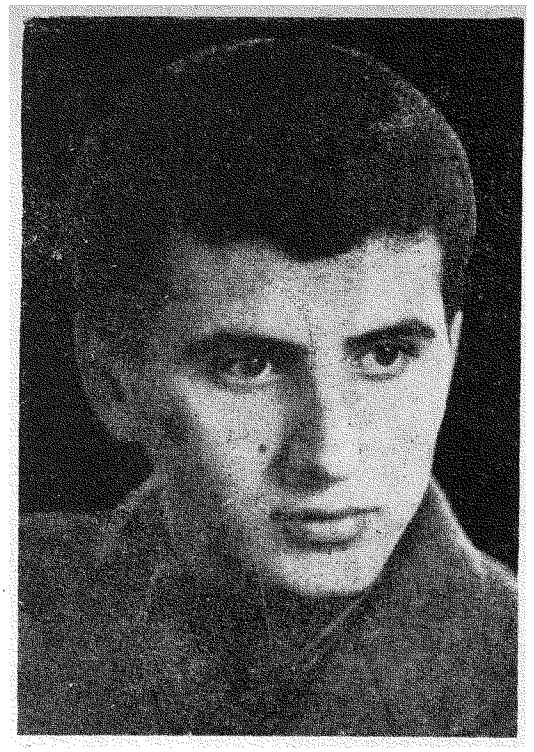

مقابلة أدبية مع :

سميح القاسم

زار الشاعر سميح القاسم جمهورية المانيا الديمقراطية في شهر تموز الماضي ضمن جولة كان يقوم بها في اقطار اوروبا الاشتراكية ، وقد خص الآداب بهذه المقابلة التي تناول فيها جملة من القضايا الادبية العامة وقضايا الشعر العربي خاصة .

● انتقالا من الخاص الى العام ، وفي تجربتك كشاعر ، ما هي امكانات توظيف الشعر العربي المعاصر ، كطاقة مغيّرة ، في عملية تغيير الواقع العربي ، وما هي مهمة الشعر التربوية في تكوين صياغات اعمق انسانية لشخصية الانسان العربي بحيث يتحول الى انسان اممي ووطني وحامل حضارة من طراز جديد ؟

ـ لعل كلمة « توظيف » أتت غير دقيقة في موقعها من السؤال ، لانني اساسا اعتقد ان الشعر لا يوظف بل (يتجند) . ولاكون اكثر وضوحا ، اشير الى ان توظيف الشعر والادب والفن بصورة عامة قد يساء فهمه او قد يؤدي الى الايحاء باسلوب التوظيف القسري الذي الحق اضرارا بالغة بالادب والفنون في الاقطار الاشتراكية في العهد الستاليني ، ومن هنا اوثر استعمال كلمة (تجند) باعتبار التجند عملية ذاتية واخف وطأة حين نتكلم عن الشعر . واعتقد انه لا مجال لبذل اي نشاط من اجل تجنيد الشعر لانه ، بطبيعة الحال، اذا كان شعرا اصيلا فهو ينتمي تلقائيا ويسهم في الصراع الفكري والطبقي عندنا كما هو الحال في جميع آداب العالم . هذا لا ينفي اننا نستطيع ان « نوظف » الشعر المتجند واقصد بذلك انه ينبغي علينا ان نعطي الشعر مكانته الطبيعية في الجبهة عن طريق تشجيع الاتجاهات الثورية في الشعر ونشرها على نطاق واسع والعمل على ترجمتها ايضا الى اللغات الاجنبية ومواكبة الحركة الشعرية بحركة نقدية موازية تسهم في حقل النشاط الشعري شكلا ومضمونا وتساعد شعراءنا على الانفتاح امام النتاج الشعري الانساني العالمي والتفاعل مع تجارب الشعوب الشعرية التقدمية آخذين بالحسبان ضرورة خلق اتصال ذوقي وفكري عميق بين الشاعر والناس . ولا شك في ان الاستفادة من الشعر المتجند في معركتنا السياسية والحضارية من شأنها ان تسهم في صقل الشخص العربي وجدانيا وعقليا بقدر ما يسهم التصنيع مثلا في صقل هذا الشخص المنسحق تحت اثقال هائلة من الرواسب الموروثة والتي يجتهد الفكر الرجعي في سبيل تعميقها وعزلها عن رياح الحياة الجديدة بذريعة الحفاظ على التقاليد العربية ولعله من الواضح ان الرجعيين يعملون على تكريس رجعيتهم ماوحين بكل ما هو سلبي في التراث، في الشعر كما في مقدمات وعناصر الانسان . من هنا نجد انفسنا في مواجهة حادة مع القبلية والتعصب الاقليمي والقومي وكلها من خصائص الشعر الذي يحاول المنظرون والنقاد المتخلفون تكريسها وصيانتها لمقاومة المفاهيم الاممية والاتجاهات الانسانية الكونية في الشعر الثوري الحديث .

● النقد الادبي لم يتم عضويا بنفس وتيرة نحو الشعر العربي هل ترى ان من الواجب القيام بما يمكن ان نسميه ب « الثورة النقدية » من اجل تقييم التراث الشعري العربي وابراز جوانبه الانسانية والديمقراطية وتقييم الشعر العربي المعاصر تقييما موضوعيا ، ومن اجل تهديم الميول المحافظة ، البرجوازية عادة ، في النقد الادبي وتأسيس هذا النقد على اسس واقعية اشتراكية حقيقية ؟

ـ الحديث عن ثورة نقدية مرتبط ومتلاحم بالحديث الاشمل عن ثورة ثقافية ونحن لا نستطيع ان نتصور وقوع ثورة ثقافية بالشكل الذي تحدث فيه الثورة السياسية، فالفرمانات والمراسيم تستطيع ان تبدل البناء الملموس والشكلي للمجتمع ولكنها تقف عاجزة امام التحول الثقافي وباعتقادي انه ينبغي علينا قبل الحديث عن ثورة ثقافية ان ننظم وان نوضح لانفسنا المعطيات والاسس التي تصلح لان تكون منطلقا لثورة ثقافية . صحيح اننا نمتلك ثقافة ثورية في اطر وتنظيمات معينة من مجتمعنا ولكن هذه الثقافة الثورية ما زالت في طور البحث عن النفس

وفي طور المغامرة وحين تكتشف ثقافتنا الثورية ذاتها تصبح بطبيعة التطور منطلقا لثورة ثقافية . من هنا معارضتي للاسلوب الصيني القسري واللامنطقي في العملية التي اطلق عليها اسم الثورة الثقافية ، وارجو الا تقع حركتنا الثورية في الخطأ نفسه الذي ادى الى كارثة ثقافية حسب اعتقادي ، وهذه المسألة تتطلب الحذر الشديد والتيقظ حيال الفوضى والرعونة والدوكماتية .

نعود الى الحديث عن النقد والنقد الشعري بالتحديد . مما وصلني منه ، استخلصت رأيا يجوز الجدال فيه . بعض النقاد الذين يعتنقون ايديولوجية ثورية ما زالوا في رأيي منفصمين في المجال الفني ولا زالوا واقعيين تحت تأثير المدارس البورجوازية الغربية وعذرهم في ذلك انهم حصلوا ثقافتهم من مصادر غربية وتكونوا من حيث الذوق حسب المقاييس الغربية ، واحس احيانا ان الناقد يبذل جهدا شاقا ويتعرض لصراع عنيف وحاد في محاولة التغلب على ثنائيته وعلى انشقاقه بين فكره الواعي وبين احاسيسه اللاواعية ، ويصح هذا الكلام باتجاه معاكس فقد لاحظت ان بعض النقاد الذين تثقفوا بثقافة اشتراكية استوعبوا مفاهيمها وتحمسوا لها بحيث دخلوا وضعا من الحساسية المفرطة تجاه كل ما هو غربي وانتقلوا من ثم الى مواقع خاطئة من التزمت والقصور الى درجة انتاج القمامات التي تكدست على جوهر الواقعية الاشتراكية فشوهته وافسدت منطلقه الى درجة التدمير . بصراحة انا اعيش ازمة ثقة بالنقد الادبي والشعري والفني الحالي لكنني متفائل بطلائع تبرز هنا وهناك في الصحف القليلة التي تصلني ولا شك لديّ بأن مرحلة التمزق العنيف سوف تفسح المجال لمرحلة جديدة هي مرحلة الثورة الثقافية المستمرة .

● اذا اعتبرنا ان شعر المقاومة انهى المرحلة الاولى من تطوره (البداية ، وبداية الدخول الى المعركة كممارس للتاثير) ، ما هي في رأيك ملامح المرحلة التالية والى اي مدى يمكن لشعر المقاومة باعتباره تقليدا ادبيا جديدا انسانيا ناضجا في الشعر العربي، ان يؤثر في تطوير الشعر العربي المعاصر وكسب الاعتراف النهائي الكامل بمجمل عملية التجديد الجارية فيه ؟

ـ من الطبيعي ان نختلف حول مراحل شعرنا ، واتجنب الان كلمة مقاومة لان بعض النقاد اثاروا زوبعة في فنجان حول هذا المخلوق . تكاثرت الاسماء من شعر مقاومة الى شعر احتجاج الى شعر معارضة ، وكما تعلم فالاجتهاد في مثل هذه الشكليات هو من طبيعة العقل البرجوازي . وواضح لي ان الاعتقاد الشائع هو ان مراحل شعرنا بدأت بعد عدوان حزيران حيث فتح لنا العالم العربي ابوابه وقلبه . ولكن الحقيقة ان ثلاث مراحل سبقت هذه المرحلة وهي : مرحلة اجترار الشعر الفلسطيني والعربي قبل النكبة ثم مرحلة ظهور عدد كبير من الطلاب والعمال الشعراء بلغ عددهم حوالي المائة والمرحلة الاخيرة ، مرحلة التشذيب والاختزال والتبلور التي يمثلها رفاقي توفيق زياد ومحمود درويش وسالم جبران وانا ، وفي الحقيقة هناك الكثير من الملامح المشتركة بيننا ولكن هناك ايضا الكثير من الملامح المختلفة ،وارجو ان تتضح هذه الحقيقة في المستقبل بعد الخروج من مظاهر الحماس الشديد والخلط السائدة الان .

بالنسبة للمرحلة التالية ، لا اريد ان اتنبأ ولكن استطيع التحدث عن تجربتي الخاصة ، فهذه المرحلة لن تكون مرحلة جماعية وانما مرحلة خاصة بكل منا ،مع الاحتفاظ بالملامح المشتركة ، وهي ملامح ايجابية وطيبة وحميمة . احس شخصيا بانجراف شديد نحو الشعر المسرحي او المسرح الشعري وبوادر هذا التحول في تجربتي ثلاث مسرحيات ، نشرت اثنتين منها . وسرني خبر قراته في المصور المصرية من ان المخرج نور الدمرداش سيخرج تجربتي المسرحية الاولى (قرقاشي) للتلفزيون المصري ولاتحاد الفنانين الفلسطينيين الذي سيقدمها في الاقطار العربية . وانا لا ادري في الحقيقة دوافع تقديم هذه المسرحية : هل لانها ذات قيمة فنية ، ام لانها من انتاجي ، ام معا ؟ ولا ادري نسبة كل من هذه العوامل في دوافع تقديمها . ولديّ مسرحية جديدة فرغت من كتابتها حديثا ، واعتقد ان مسرحياتي الثلاث تشكل ثلاثية مسرحية رغم اختلاف الشخوص فيها ، لانها قائمة على خلفية ذهنية وعاطفية واحدة . وحين فرغت من المسرحية الثالثة كان لديّ شعور بانها ستكون آخر ما سأكتبه للمسرح وانه لم يعد لديّ ما اقوله بالشكل المسرحي ، ولكن اثناء رحلتي في اوروبا والسفرات الطويلة بالقطار ، تشكلت في ذهني خطوط عريضة لمسرحية جديدة خلفيتها من التاريخ الاندلسي ومن مرحلة الاستشهاد بالذات ، ولكنها تناقش الصراع بين الصهيونية وحركة التحرر العربية .

اما السؤال عن مرحلة جديدة بالنسبة لشعرنا ككل فأعتقد ان شعرنا جزء من الحركة الشعرية العربية ، تأثر بها وتفاعل معها ، والملامح الخاصة به تقابلها الملامح الخاصة بالشعر الجزائري او الملامح الخاصة بالشعر العراقي مثلا . ومن الطبيعي ان كل عمل شعري يتأثر بالبيئة الضيقة التي يعيش فيها بالاضافة الى تأثره بالبيئة العربية الواسعة وبالعالم . واية مرحلة قادمة ستكون جزءا من الحركة الشعرية العربية في مسيرتها بكافة انجازاتها ، ونكساتها ايضا .

اجرى المقابلة
انور الغساني